

## زعيم المتمردين في تشاد يطرح الحوار في الوقت الضائع

محمد مهدي علي

اشتراكي بغطاء قبلي ينزع إلى التغيير بالقوة



● الإعلان عن اتفاق وقف إطلاق النار في ليبيا، الصيف الماضي، دفع الرئيس ديبي إلى إبلاغ حلفائه الفرنسيين بأن نهاية الحرب في ليبيا ستعني بدايتها في تشاد.



● علي يؤكد أنه لم يكن من بين أهدافه الإطاحة بالنظام والحلول محله. ويضيف قوله إن "هدفنا الرئيس هو التناوب الديمقراطي في تشاد". لكن هذا الموقف لم يعد مجدياً، بعد تشتت قواته.

بأصواتهم، هاجم مسلحو جبهة "التناوب والوفاق" بقيادة مهدي علي إقليم تيبستي، مدعومين بأعداد من مقاتلي فصائل أخرى، إلى أن وصلوا إلى إقليم كانم الحدودي مع النيجر والذي يقع 400 كلم إلى شمال غرب العاصمة نجامينا، وبعد أيام أعلن عن مقتل الرئيس ديبي متأثراً بإصابته في المعارك عندما كان يقود قواته في تصديدها للتمرر.

بعد تشكيل المجلس العسكري الانتقالي في تشاد برئاسة محمد نجل الرئيس الراحل قال علي إن الجبهة قبلت وساطة موريتانيا والنيجر من أجل المنشآت منها بين قبائل جريج ومعتقل من قبل النظام، ما جعل فلولها تخترق الأراضي النيجرية الجاورة للاحتواء بها.

يقضى أن وصول المتمردين إلى إقليم كانم يطرح العديد من الأسئلة، ولا سيما في ما يتعلق بدور الحليف الفرنسي للرئيس ديبي وعما إذا كان جادا هذه المرة في الدفاع عنه كما فعل في مناسبات سابقة، وهناك من المراقبين من يرى أن موقف باريس كان محايداً في هجوم أبريل، والطيان الفرنسي كان قادراً على سحق المتمردين وهم يعبرون الامتدادات الصحراوية العارية في اتجاه الجنوب، ولم يكن مضطراً للانتظار وصولهم إلى إقليم كانم.

لكن بالمقابل، هناك من يشير إلى أن التمرد ما كان ليصل إلى مبتغاه، طالما أنه لم يكن مدعوماً بانتفاضة شعبية من الداخل وبتشقاقات فعلية في قوات النظام، وطالما أنه ينطلق من خلفية عرقية وقبيلية منحصرة في 7 في المئة من سكان البلاد، ومن نزعة مناطيقية لا تزال تستبطن قناعة بضرورة سيطرة الشمال على السلطة، ما كانت لتتقدم لولا الفوضى التي ضربت ليبيا خلال السنوات العشر الماضية لتجعل من أراضيها خطراً يهدد الاستقرار في دول الجوار.

أسرة علي تتحدر من قبيلة «كريدا» التي تتشكل من 64 بطناً، ما يجعلها إحدى أبرز قبائل القرعان إن لم تكن أكبرها على الإطلاق، ولها انتشار واسع في شمال البلاد



قاتلوا أولاً مع أبناء جلدتهم من التبو في سبها وأوباري ضد أولاد سليمان والطوارق، ثم في صفوف ميليشيا إبراهيم الجضران التي كانت تسمى بحرس المنشآت النفطية في إطار ما سمي بمعركة "الشروق" المنبثقة عن منظومة "فجر ليبيا" ضد الجيش في منطقة الهلال النفطي.

وقاتلتوا أيضاً مع الجيش ضد المتطرفين في بنغازي، ومع ميليشيات الزنتان بقيادة أسامة الجويلي ضد قوات المشير حفتر في غرب البلاد، كما حاربوا الجيش في مرزق وأم الأرناب، وشاركوا في مذبحة القاعدة العسكرية ببراك الشاطي في مايو 2017، وفي العديد من الصراعات.

تعرض الموقع الذي تحصن به قوات علي إلى قصف من قبل الطيران التابع للجيش الليبي بقيادة المشير حفتر، فقتل أحد رجاله وأصيب اثنان آخران. وقال حينها "اعتقدنا أنه كان خطأ في البداية، حتى قال الوفد المرافق لحفتر أن الهدف هو قمع أي تمرد قد يزعزع استقرار دولة مجاورة".

## مرحلة جديدة

بعد الإعلان عن اتفاق وقف إطلاق النار في ليبيا، الصيف الماضي، أبلغ الرئيس ديبي حلفائه الفرنسيين بأن نهاية الحرب في ليبيا ستعني بدايتها في تشاد، فالسلام داخل الأراضي الليبية سيؤدي إلى تجفيف منابع التمويل والتسلح لجماعات المتمردين، كما سيحاصر مركزاتهم، وسيضطروهم إلى التحالف والهجوم على شمال البلاد، وهذا ما حدث بالفعل، وفي 11 من أبريل الماضي، وبينما كان التشاديون منشغلين بالإدلاء

الجنسيتين التشادية والليبية وزيرة للثقافة والمجتمع المدني في حكومة عبد الحميد الديبية.

## الأكاديمي المحارب

خلال عقد التسعينات، كان علي مقبياً بفرنسا التي تخرج من جامعاتها بمجستير في الإدارة وتخصص في القانون والاقتصاد، وحصل على الجنسية الفرنسية، وأقام في مدينة رين بالغرب الفرنسي حيث لا يزال أبناؤه يعيشون هناك.

قضى 25 عاماً كلاجئ سياسي، ونشط ضمن الحزب الاشتراكي الفرنسي، وكأحد ممثلي حركة "من أجل الديمقراطية والعدالة" التي أسسها توجومي، والتي عدت اتفاق سلام مع نظام إدريس ديبي في ديسمبر العام 2003 برعاية بوركنينا فاسو، تحولت الحركة بموجبها إلى حزب سياسي، مع تمكين مسلحيها والمنتمين إليها من عفو شامل، وهو ما فسح المجال أمام علي ليعود إلى نجامينا، حيث تسلم منصباً مهماً في وزارة البنية التحتية.

بعد خمس سنوات وصل متمررون إلى العاصمة، وكان النظام على وشك الانهيار، ولكن قدرة ديبي على قمع التمرد، دفعت بعلي إلى الفرار خشية وضعه في دائرة الانتقام.

اتجه للانضمام إلى المتمردين في دارفور، وانخرط في المعارضة المسلحة ضد نظام ديبي، ثم غادر إلى الجنوب الليبي ليتخذ منه مكاناً لتدريب قواته، ضمن ما يعرف باتحاد القوى من أجل الديمقراطية والتنمية بزعمارة وزير الدفاع الأسبق محمد نوري الذي أصدر القضاء التشادي حكماً بالإعدام في حقه بتهمة ارتكاب جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية بين عامي 2004 و2005 في السودان، أثناء انشطته في التمرد ضد نظام ديبي.

في العام 2015 قرر نوري تكليف علي بالعمل على إعادة تنظيم قواعده في ليبيا، والاستفادة من حالة الفوضى وخاصة في منطقة الجنوب، ولكن في العام التالي أعلمه بأنه لم يعد مرغوباً فيه داخل اتحاد القوى من أجل الديمقراطية والتنمية، بسبب خلافات بين الطرفين، وعين دييلا عنه، غير أن علي قاد عدداً من المنشقين عن قوات نوري لتأسيس جبهة التغيير والوفاق "فاكت"، ورغم أن الإعلان عن ذلك كان في مدينة تانوا التشادية، إلا أن مقرها العملي كان في منطقة وادي مسعود بجناب الحساونة في جنوب ليبيا.

## مرتزة تشاد

برز المتمررون التشاديون كمرتزة داخل ليبيا يؤجرون بنادقهم لمن يدفع أكثر، فقد

مؤتمر لاغوس، ولكن في العام 1982 تحول نظامه بدوره إلى عرضة للتمرد عليه من قبل قوات حسين حبري، وهو كذلك من التبو، وتحديداً من قبيلة "الانكزة"، فإطاح حبري بعويدي، وعرفت مرحلة حكمه حروباً متقطعة من الجارة الشمالية ليبيا، ووجد دعماً كبيراً من باريس وواشنطن، فكان هجومه على وادي الدوم في المعركة التي دارت رحاها يوم 22 مارس 1987 وقتل فيها 1.269 جندياً ليبيا وأسفر 438 كان من بينهم العقيد خليفة حفتر والمقدم عبدالله الشبيخي.

## يورانيوم وقبائل

الصراع التشادي الليبي ليس وليد فترة حكم القذافي وإنما يعود إلى أوائل الخمسينيات من القرن العشرين، حيث طالبت المملكة الليبية بعد قيامها في العام 1951، بحقها في شريط أوزو، الذي كان سكانه موالين للحكم العثماني والحركة السنوسية، كما أن العام 1935 عرف توقيع اتفاقية تنازلت بموجبها فرنسا عن الإقليم لإيطاليا ليصبح الشريط جزءاً من خارطة الأراضي الليبية منذ بداية الأربعينات، وفي مطلع التسعينيات تم التوقيع على معاهدة تنازلت من خلالها تشاد عن الشريط لصالح ليبيا، فدفعت سلطات طرابلس بقواتها إلى هناك وسيطرت عليه سيطرة كاملة، وعندما جرت الإطاحة بنظام الرئيس فرنسوا توم بالباي في العام 1975، انقلب خليفته فيليب معلوم على المعاهدة، بإيعاز غربي نظراً للأهمية الاقتصادية القصوى لشريط أوزو ولمخزون اليورانيوم الذي يحتكم عليه، لتدخل البلاد مرحلة من الفوضى والاضطرابات والتدخلات الدولية المباشرة والصراع مع ليبيا، وخاصة في عهد الرئيس حسين حبري إلى أن تمرد عليه أحد حلفائه السابقين وهو إدريس ديبي، بإسناد من الخرطوم وطرابلس، وأسقط نظامه في ديسمبر 1990، لينتقل الحكم من التبو إلى قبيلة زغاوة المنتشرة في شرق تشاد وغرب السودان، وفي مايو 2016 حكمت عليه المحكمة الأفريقية الخاصة في داكار - على حسين حبري - بالسجن المؤبد، بعد إدانته بتهمة ارتكاب جرائم ضد الإنسانية وجرائم اغتصاب وخطف وإعدام وتعذيب.

لم تحمد محاولات التبو التمرد على نظام ديبي، ومن أهمها تلك التي تزعمها القاضي يوسف توجومي الذي كان وزيراً للدفاع قبل انشقاقه عن النظام في العام 1999، والذي اتجه إلى مقاطعة تيبستي في أقصى الشمال الغربي للبلاد، حيث ملقئ الحدود مع ليبيا والنيجر، وهناك أسس فصيلاً مسلحاً وهو حركة "من أجل الديمقراطية والعدالة"، وخاض مواجهات دامية مع القوات الحكومية ووجد دعماً من أبناء جلدته، قبل أن يصاب إصابة بالغة بسبب تعرضه لانفجار لغم أرضي بالقرب من مدينة برادي عاصمة المقاطعة، وتم نقله إلى طرابلس لتلقي العلاج، ثم أعلن عن وفاته ودفن في العاصمة الليبية، وتم تكليف شقيقته مبروكة توجومي، وهي تحمل

الحبيب الأسود كاتب تونسي

● بالإعلان عن مصرع الرئيس التشادي إدريس ديبي، متأثراً بإصابته في جبهة القتال في إقليم كانم الحدودي مع النيجر، برز للعلن اسم زعيم المتمردين محمد مهدي علي الذي بات يعرف بقائد المعارضة المسلحة ورئيس المجلس العسكري المعلن من قبله في مواجهة المجلس العسكري المعلن من قبل سلطات نجامينا، والذي لا يمكن عزله عن سياق الصراعات العرقية والقبلية والمناطيقية في تشاد منذ اندلاعها في سبعينات القرن الماضي، وتحول الصراع المسلح على الحكم إلى ظاهرة بارزة للبلدان توججها التدخلات الخارجية والتأثيرات العامة للأوضاع المتداخلة في منطقة الساحل والصحراء، حيث كلما عمت الفوضى في إحدى دول الجوار، استغلها المتمررون للجييش والتدريب والتسلح والاستعداد للهجوم على البلاد، بهدف الوصول إلى قصر الرئاسة في نجامينا.

التمرد لم يكن ليصل إلى مبتغاه طالما أنه لم يكن مدعوماً بانتفاضة شعبية من الداخل وبتشقاقات فعلية في قوات النظام، وطالما أنه ينطلق من خلفية عرقية وقبيلية ومنحصر في 7 في المئة من سكان البلاد

ولد علي في العام 1964 في أسرة تتحدر من قبيلة "كريدا" والتي تتشكل من 64 بطناً، ما يجعلها إحدى أبرز قبائل القرعان إن لم تكن أكبرها على الإطلاق، ولها انتشار واسع في شمال البلاد، وتخرجان لديها مقاتلين أشداء.

والقرعان اسم يطلق على تبو ليبيا وتشاد والسودان الذين يصعب الفصل بينهم بسبب التداخل الكبير بين مناطقهم وجذورهم الأسرية، وقد يكون بينهم من يحظى بجنسيتي بلدين في نفس الوقت، وإذا لوحق بعضهم في بلد، عبر الحدود فر نحو بلد مجاور واندماج في بني جلدته وتحصن بهم، فالانتماء العرقي والقبلي يطغى على الانتماء للدولة ويهمشه.

ومن التبو من حكموا تشاد، أبرزهم كوكوني عويدي "وداي" الذي دخل عالم السياسة أواخر الستينات من القرن الماضي كمقاتل في الجبهة الوطنية لتحرير تشاد من منطلق الاستياء من سيطرة المسيحيين الجنوبيين المدعومين من فرنسا على الحكم، وقاد تمرداً ضد النظام القائم إلى حين إسقاطه في العام 1979 واختير رئيساً للبلاد بعد